ميزانية رجل الفيل

كتبها محمد خليل الكسيح

حصلت خلال حياتي العمليـة على العديد من الألقاب مثل الخبـير النـووي وأينشـتاين عصـــره والرجـــل المشـــع واللواء الذري وصاحب ذلـك بطبيعــة الحــال الكثـير من الشهادات العلمية بدأتها مـع تخـــرجي من كليـــة الفنيـــة العســـــكرية والدراســــات الهندسـية حـول المفـاعلات النووية ويبدو أن الأمر تحول

عندي إلى هوس وهواية بهذا التخصص أزداد مع زواجي من أستاذة الفيزياء النووية بكلية العلوم دكتورة فايزة وكان الأمر ممتعا فخلال فترة الخطوبة كان الحديث العلمي المسيطر بدلا من الحديث عن الأثاث والشبكة وخلافه ولكنه كان زواج سعيد بكل المقاييس ومع انجاب ثلاث فتيات التحقن جميعا بكلية العلوم في أقسام مختلفة تحول المنزل إلى جامعة علمية

بكل المقـاييس ولكن اللقب
الأهم كـان الرجـل الصـادق
وأحببت ذلك اللقب أكثر من
أي شئ آخـر ولكنـه كلفـني
الكثـير خلال حيـاتي المهنيـة
ورغم كـــل العطـــاء العلمي
والمهني حتى قـاربت ال55
من العمــــر إلا أنــــني كنت
دائمـــا بعيـــدا عن الأضـــواء
والمناصــــب رغم الحاجـــــة
المســــــتمرة لي كخبـــــير
عسـكري ونـووي لـذا ورغم
كـل شـئ كنت على اتصـال
دائم بــــالكثير من رجـــــال

السلطة وبخاصة المخابرات فيما يتعلق بكل ما يمكن أن يكــون لــه علاقــة بــالأمور الذريــة وكــان لقب الرجــل الصادق رأس مــالي الوحيــد ولكن في ذلك اليــوم وبينمــا كنت في شـــقتي بشـــــارع الأنصار بالــدقي أتــابع اخبــار الحــرب في أوكرانيــا والــتي كنت أعرفهــا حــق المعرفــة وكيـــــف لا وهي صـــــاحبة مقاعل تشــرنوبيل والكارثــة الــتي حــدثت في 26 أبريــل 1986 ميلادي بـــالقرب من

بلـــدة يريبيـــات أو مدينـــة
الاشـباح كمـا يسـمونها الان
فـؤجئت بـرقم غـريب على
الموبايل الخـاص بي والـذي
لايعرفـه الا القليـل وجـاءني
صـــوت صـــارم يخـــبرني
بالاســـتعداد لزيـــارة هامـــة
للسـيد الطمـاوي حيث أنهم
بانتظـاري أسـفل العمـارة
التي أسكن بهـا، لم أكن في
حاجـة لفهم خطـورة الأمـر
وأنـــني على وشـــك مقابلـــة
مســـئول أمـــني هـــام
والطماوي رجل الـرعب في

المخابرات وأسـميه العميـل رقم صــفر ولكن الطريقــة كـانت الأغـرب هـذه المـرة فلم أعتــاد على اصــطحابي بســــيارة خاصــــة وزادت اندهاشــي عنـدما صـحبوني لعمـارة متمـيزة على النيـل بـالقرب من نـادي التجـديف لنادي جامعة القاهرة وهناك وفي الــدور الثــالث والــذي امتلا بـــالحراس المتمــيزين بــدنيا وزيــا وتســليحا دخلت منفــردا إلى غرفــة واســعة اكتشــفت أنهــا تطــل على

النيل وهنـاك ظهـر مضـيفي الطمـــاوي أو العميـــل رقم صفر كما نسـميه نسـبة إلى قصـــص الشـــياطين ال13 للكاتب محمود سالم والـتي كانت مشهورة أيام طفولتي ولكــني هــذه المــرة وجهــا لوجه مع العميـل رقم صـفر شخصـــيا وضـــحك الرجـــل عنـدما أخبرتـه بـذلك وكـان حديثــه وديــا للغايــة حــتى تخيلت أن الأمر مجرد دعوة لتناول الشاي والحلوي على النيل ولكني مع ذلك لم أمد

يـدي لأي شـئ موجـود على الطاولـــة الممتلئـــة بـــأنواع غريبـة ومميـزة من الحلـوى والشـــرب وتوقـــف فجـــأة وسألني

- دكتـور حسـن تعـرف أيـه عن رجل الفيل؟
- كتلـــة كبـــيرة من مـــادة الكوريـــوم بحجم مـــترين ووزن 100 طن أســـــفل مفاعـل تشـرنوبيل رقم4 وتحديدا الغرفة 217
- في ممـــر توزيـــع البخـــار أسـفل المفاعـل.. عظيم

أنت مذاكر كويس.. مجرد النظـــر إلى رجـــل الفيـــل يقتلك ومع اشعاع بقوة 8 ألاف رونتجن الله يرحمنــا جميعا

- الحمد لله أنها ليست هنــا كما أن روسيا بنت فوقهــا التـــــــــــــــــــابوت (sarcophagus)
- ماذا لــو أخبرتــك أنهــا هنــا في مصر ويمكن أن تصل إلى مياة النيل
- هــذا معنــاه ببســاطة أنــه يجب أن نترك مصر لمدة

100 الـــف ســـنة حـــتى ينتهى الأشـــعاع القاتـــل المنبعث منها

- هـــل تعـــرف كيـــف تم اكتشافها
- مـــدير المشـــروع ارتـــور كورناييف خلال زيارة عام 1996وقـــام بتصـــويرها ولكن نقلهـــا مســـتحيل.. هنـــاك حـــرب أولا وحـــتى بـــدون حـــرب فـــالأمر مستحيل
- التقـــارير والصـــور الـــتي ستشـــاهدها الان ســـرية

نقلتهـــا لنـــا المخـــابرات الروسية

بـدأ في عـرض صـور على شاشة تلفزنوية مع الشرح وكـانت لروبوتـات تتحـرك في منطقـــة المفاعـــل وأحـدها كـان معـدا بشـكل وكأنه يحمـل بندقيـة أو مـا شابه وهنا سألني من جديد

- اتعرف لماذا هذا الروبوت معد ببندقية
- رجـل الفيـل كتلـة صـلبة تكتـل من الوقـود النـووي

والزجاج والخرسانة طبقات من ثاني أكسيد السيلكون مع اليورانيوم والتيتانيوم والزركونيوم والمغنيسيوم والجرافيت مغطاة بطبقة تشبه لحاء الاشجار والزجاج بسبب حبوب بلورية من الزركون ومع صلابتها الشديدة يمكن تحطيمها بطلقة من بندقية

- بالضبط كلامك مطابق للخبير الروسي أعتقد أن مهمة الروبوتات جمع

عينــات من رجــل الفيــل وهــذا مــا تأكــده الصــور ولكن إلى أين ذهبت العينات ومن يمكنه نقلها

- إسرائيل.. هل هناك اجابة أخرى؟
- طالما أن الـروس قـاموا بالتصــوير واخبارنــا فــأن الحكومة الأوكرانية لها يـد في الأمــر وعلاقتهم مــع إسرائيل معروفة

لم يكمل حديثه وظل يتـابع الأجهـزة الـتي امتلات بهـا الغرفــــــة فضــــــلا عن

الشاشـــــات ولابــــــات الكمـــبيوتر ثم مـــد يـــده بقطعة معدنية لي وسألني

- هـــل تعـــرف دايـــرون باروت؟
- طبعا خبـير قنابـل مشـعة ولكن تم القبض عليـــــه 2004
- قبضـــــنا على شـــــخص بالمطار له علاقة به وكان معه تلك القطعة
- أنهـا خليـط من الرصـاص والجـــرافيت من المـــواد الأساسية في المفاعلات

- وما الهدف من قطعة صغيرة كهذة
- بتجميع اعداد منها يمكن صنع حاوية
- حاوية لنقل رجل الفيل
- هذا صعب ولكن ممكن لو توفرت الامكانية المناسبة

من جديد توقف عن الحديث وأخذ يتابع الشاشات من حوله ثم يتطلع للنيل ثم دق جرس بصوت عالي أشبه بالانذار وتطلع إلى إحدي

الشاشات والتف لي وقال

- لقد وجدوا قطع أخرى في فيلا بالمنصورية.. يجب أن تذهب الان للفحص وتعود لي.. نحن في طوارئ لحين اكتشاف كل شئ

نهضت وأديت تلقائيا التحية العسكرية ولكني طلبت أن يصحبني المقدم وليد المساعد لي ورحب الرجل وأخبرني

بأنـــه ســـيلحق بي على المنصورية.
في فيلا المنصـورية كـان رجـال القـوات الخاصـة الملثمين بأسلحتهم مـع 5 جثث المفـــترض أنهـــا لارهــابيين كــانوا بــالفيلا والعديـــد من القطـــع المعدنيـــة المشـــابهة للقطعــة الــتي أراهــا لي الطماوي ولكن كان هناك الكثــير من التســاؤلات، قمت بفحص القطـــــع وأيضــا الجثث الخمســة

وتـأملت الوجـوه وحضـر مســاعدي وليــد بــأجهزة متنوعة بعضها للتصوير أو لكشف الاشعاع فتجــولت معـــه في الفيلا ولكن لم نصــل لشــئ ولأول مــرة تحدث وليد وسألني

- أستاذي ماذا يحدث؟
- مصــيبة ولكن لا أدرى مــا نوعهــا بالضــبط، بـــدأت بخمس جثث أرجـــــو ألا يزيد العدد

من جديـــــد عـــــدت إلى الطمــاوي على كـــورنيش

النيــل ولكنهم لم يســمحوا بــدخول وليــد والــذي ظــل ينتظر بالخــارج وأعتــذر لي الطماوي عن ذلك لأســباب أمنيــة ولكنــه أخــبرني أن هنــاك تطــور جديــد حــدث ويبدو أننا تأخرنــا كثــيرا في ملاحقة المشكلة ثم عرض لي رســالة نصــية كــانت عبــارة عن تهديــد بوضــع رجل الفيل في مياة النيــل ولتأكيــد التهديــد فقــد تم اطلاقها على قرية صــغيرة بصحراء ســيناء ومــا هي الا

دقـائق حـتى كنت اسـتقل طـائرة هليكوبـتر مـع وليـد وفريــق بحــثي مخصــص لكشــف الاشــعاع النــووي وكنت على ابــواب رؤيــة مأســاة حقيقيــة فالقريــة كــانت مليئــة بــالجثث من البشــــــر والحيوانــــــات وأصــدرت أجهـزة الأشـعاع رنينها المزعج مؤكـدة على وجود اشـعاع بقـوة 1000 رومنتجن او يزيــــــد ورغم ارتداء الـزي الـواقي إلا أن أعضاء الفريـق أكـدوا على

أهميـــة الرحيـــل الفـــوري وكنت وقتهـــا إلى جـــوار طفلة صغيرة أتامل وجههـا ولم أقـــــوى على الكلام لفــترة من الـــوقت ولكن بمجــرد العــودة طلبت من وليد الرحيل وعدت أنـا من جديد إلى الطماوي والــذي كان متأثرا بالحادث ومئات الجثث خاصـــة الأطفـــال والذين مـاتوا فقـط لاثبـات مصـــداقية التهديـــد ولكنـــه كـان يحمـل أخبـار جديـدة عن وصول طـائرات بـدون

طيـــار وأجهـــزة لكشـــف الاشـــعاع من الجـــو وقـــد بـــــدأت عمليـــــات البحث بالفعل، كنت اتــابع بــدوري الشاشـــات ولكن بنظـــرة غاضبة حتى رن جـرس من جديـــــد وآخـــــر ثم رفـــع الطماوي الموبايل الخــاص به وابتسم وهو يقول

- تمام سيادتك الحمد لله... الخطر زال

ولأول مــرة ضــحك وهــو يخبرني بأنــه تم اكتشــاف وكــر الارهــابيين من خلال

اشعاع رجل الفيل وتم نسف المكان بالكامل ولحسن الحظ في منطقة صحراوية سيتم عمل كردون حولها لضمان السلامة ولكن عندما سألته عن ضرورة ذهابي لفحص المكان أخبرني بأن هناك فريق بحثي مخصص لذلك والخبراء الروس في الطريق الان. كنت أعتقد أنني سارحل ولكن الطماوي طلب حضور الطعام وكلفني

بعمل تقريـر عن الحـادث والأجهــزة والاســتعدادت المطلوبـــة لمثـــل هـــذه الأخطار والتكلفة الماديــة مهما كانت كبيرة واكد لي على أهمية وضـع ميزانيـة كافيـــة ومناســبة مهمـــا بلغت فالخطر كان عظيم ولـــو تمكن الارهـــاب من الوصـــول برجـــل الفيـــل لميـــاة النيـــل لكـــانت الكارثة.

لم أتنـاول معـه الطعـام لرغبـــتي في الأكـــل مـــع

زوجـتي والبنـات وأخبرتـه أن التقرير سيكون جــاهز بكل التفاصيل خلال ثلاثــة أيــام وسأحضـره بنفســي إلى مقـــره الأســـطوري على النيل وبالفعـل كتبت التقريـــر ولم أجـــرى أي مكالمــة ســوى مــع وليــد لأتاكد من مهمة كلفته بها ورد بجملة واحدة

- زي مـــا قلت ســـيادتك مفيش حاجة

- طب تعـــالي في حاجـــة عـــايزة منـــك وبـــالمرة نتغذي مع بعض..

لقـائي مـع الطمـاوي كـان مميزا هذه المرة فقد كنت أحمــل أوراقي في حقيبــة دبلوماســــــية ورحب بي الجميع دون إجراءات أمنية ولحظات وكنت أجلس من جديــد مــع الطمــاوي على ضــفاف النيــل والمائــدة الممتلئة بكل أنواع الطعام والشراب المميز والغـريب ولكني فأجاته بسؤال

- ما السبب لكل ذلك؟؟ فقط هذا التقرير؟
- لا أفهم.. ماذا تقصد؟
- لا يوجد رجل الفيل ولا أيده.. كله كذب
- ماذا تقول دكتور.. أنت عالم.. الاشعاع والجثث والصور..
- جثث المنصورية تعرضت للتعذيب قبل قتلها بالرصاص وربما ماتت قبلها وكيف يمكن لمعركة بالرشاشات أن تحدث مع 5 إرهابيين دون أن

يتحطم شـــــئ بـــــالفيلا والأظـــــــرف أن احـــــد الإرهابيين كان من تلاميـذ زوجتي بكلية العلوم ومن المتفـــــوقين أيضـــــا.. والأشـياء الـتي وجـدوها.. وجـــدوها دون أي تحطيم أو تفـتيش وكأنهـا كـانت موجـــودة على الســـفرة مثـــل هـــذه الســـــفرة الفاخرة

- عظيم.. تحليـــــل رائـــــع والواحة بسيناء؟

- لم يموتوا من رجل الفيل أو اشعاع فاعراض الاشعاع الدوار والارهاق ونزيف خلال دقائق ويكون الموت خلال يومين وليس فوريا.. أهالي الواحة مات بغاز سام تم رشه عليهم من مسافة قريبة.. أرسلت وليد للواحة في اليوم التالي لقياس الأشعاع ولم يكن هناك شئ.. كما قلت لك الأمر يحتاج 100 الف سنة لزوال الاشعاع وليس 24 ساعة

- جميل جـدا ولكن مـاذا عن التقريـــر وميزانيـــة الأمن على ضوء الأحداث الأخيرة
- التقريـر مكتـوب وبميزانيـة 6 أصفار هل هذا المطلوب من كل هذا؟؟
- بالضـبط موضـوع الارهـاب أصــبح ممــل.. لكن خطــر نـــووي وتهديـــد اشـــعاعي أقوي وميزانية أكبر
- صـحيح.. هــل هنــاك شــئ مطلوب مني غير ذلك؟
- لا لقــد أديت دورك بشــكل جيد.. والتقرير ممتاز

- أنت لم تقرأ كل شئ هناك الكثـــير من التفاصـــيل.. الحقيبة ممتلئة
- لايهم.. أهم شـئ الأصـفار الستة
- صــــحيح.. أســــمح لي بالانصراف وأجازة طويلة
- طبعـا وفي أي مكـان تريـد مـع الأسـرة ومجانـا طبعـا وزيـادة في الـراتب ضـرب 20 غير المكافات
- ممتـاز.. وكـل رجـل فيـل وأنت طيب

انصــــرفت في هـــدوء ولكن
هذه المرة كنت مع سيارتي
التويوتــا وابتعــدت مســافة
قبل أن اسمع صوت انفجـار
كبـير دمــر مقــر الطمــاوي
بالكامل حتى أني أحسسـت
أن جثتـه تنـاثرت في النيـل
وتــــذكرت حـــــواري مـــــع
مســاعدي وليــد قبــل يــوم
عنــدما أخبرتــه بحقيقــة مــا
حــــدث وتخطيطي لقتـــــل
الطمـــاوي انتقامـــا لــــدماء
الأبريـاء الـتي سـفكها فقـط
من أجــل الميزانيــة وطلبت

منه أن يعد لي حقيبــة كمين مليئــة بمتفجــرات مناســبة وبالفعل تم كل شئ حســب المخطــط ووجــدت وليــد واقفــا على ناصــية الشــارع بــــالقرب من الشـــــيراتون وجلس بجواري في السيارة وسألني

- ماذا سيحدث بعد ذلك؟
- لا شـــئ أطمئن.. تقريـــر جديد بالميزانية بدل الذي أحترق منذ قليل.

وفي صــباح اليــوم التــالي كنت في مبني المخابرات

العامـــة أجلس مـــع أحـــد المسـئولين والـذي طلب حضـوري إلى مكتبـه على الفور وهناك سألني

- أنت قـــابلت الطمـــاوي أمبارح؟
- مش مهم الطمــــــاوي.. المهم تقرير الميزانية بعد الحــوادث اللى حصــلت.. تهديد نووي وقتل مسئول أمني رفيع المستوى نحن في حاجـــــة لميزانيــــــة مناسبة.. أنـا كتبت تقريـر بميزانية من 7 أصفار ولو

تحب ممكن نخليهم 8
كما تعرف الجميع يعرفني بالرجـل الصـادق واللـواء الذري

- ســتكون العميــد الــذري قريبا
- شكرا لك
- هـــل ستحضـــر جنـــازة الطماوي.. أو اللى فضـل منه
- لا عندي ميعاد عائلي..
- أنـا كمـان كفايـة نقـرأ لـه الفاتحة
- كفاية جدا

وضحكنا وأنصرفت بعـد أن سـلمت لـه ميزانيـة رجـل الفيـــل كمـــا كتبت على غلاف التقرير

تمت